

الفرق بين الاستغاثة والسؤال بالجاه

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، أما بعد ؛
فالدعاء بجاه النبي صلى الله عليه وسلم غير الاستغاثة به ، وكثير من الناس يخلطون بين الأمرين ، من الاستغاثة الشركية بالنبي صلى الله عليه وسلم أن تدعوه وهو ميت أن ينحيك من مصيبة نزلت بك أو ما شابه ذلك .
وأما سؤال الله بجاه النبي صلى الله عليه وسلم فهذا ليس شركا ولكنه بدعة ؛ لأن العبادات توقيفية ولم يثبت في التوسل إلى الله بجاه النبي صلى الله عليه وسلم شيء كما ثبت التوسل بالأعمال الصالحة .
فالصلاة خلف الإمام المذكور جائزة وصحيحة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :
ولم يقل أحد : إن التوسل بنبي، هو استغاثة به، بل العامة الذين يتوسلون في أدعيتهم بأمر، كقول أحدهم : أتوسل إليك بحق الشيخ فلان، أو بحرمة، أو أتوسل إليك باللوح والقلم، أو بالكعبة، أو غير ذلك، مما يقولونه في أدعيتهم، يعلمون أنهم لا يستغيثون بهذه الأمور، فإن المستغيث بالنبي صلى الله عليه وسلم طالب منه وسائل له، والمتوسل به لا يدعى ولا يطلب منه ولا يُسأل، وإنما يُطلب به، وكل أحد يفرق بين المدعو والمدعو به .

والاستغاثة طلب العوث، وهو إزالة الشدة، كالاستنصار طلب النصر، والاستعانة طلب العون، والمخلوق يطلب منه من هذه الأمور ما يقدر عليه منها، كما قال تعالى : { وَإِن اسْتَنْصَرْتُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ } [الأنفال : 72] ، وكما قال : { قَاسَتْغَاثُهُ الَّذِي مِن شَيْعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ } [القصص : 15] ، وكما قال تعالى : { وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى } [المائدة : 2] . وأما ما لا يقدر عليه إلا الله، فلا يطلب إلا من الله؛ ولهذا كان المسلمون لا يستغيثون بالنبي صلى الله عليه وسلم ويستسقون به، ويتوسلون به، كما في صحيح البخاري : أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استسقى بالعباس وقال : اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون .

وفي سنن أبي داود : أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم : إنا نستشفع بالله عليك، ونستشفع بك على الله، فقال : " شأن الله أعظم من ذلك، إنه لا يستشفع به على أحد من خلقه " .

فأقره على قوله : نستشفع بك على الله، وأنكر عليه قوله : نستشفع بالله عليك .
وقد اتفق المسلمون على أن نبينا شفيع يوم القيامة، وأن الخلق يطلبون منه الشفاعة، لكن عند أهل السنة أنه يشفع في أهل الكبائر، وأما عند الوعيدية فإنما يشفع في زيادة الثواب .

وقول القائل : إن من توسل إلى الله بنبي، فقال : أتوسل إليك برسولك، فقد استغاث برسوله حقيقة، في لغة العرب وجميع الأمم، قد كذب عليهم، فما يعرف هذا في لغة أحد من بنى آدم، بل الجميع يعلمون أن المستغاث مسؤول به مدعو، ويفرقون بين المسؤول والمسؤول به، سواء استغاث بالخالق أو بالمخلوق، فإنه يجوز أن يستغاث بالمخلوق فيما يقدر على النصر فيه، والنبي صلى الله عليه وسلم أفضل مخلوق يستغاث به في مثل ذلك .

ولو قال قائل لمن يستغيث به : أسألك بفلان، أو بحق فلان، لم يقل أحد : إنه استغاث بما توسل به، بل إنما استغاث بمن دعا، وسأله؛ ولهذا قال المصنفون في شرح أسماء الله الحسنى : إن المغيث بمعنى المجيب، لكن الإغاثة أخص بالأفعال، والإجابة أخص بالأقوال ... إلخ . انتهى

وقال الإمام ابن باز رحمه الله :
وأما قول القائل أسأل الله بحق أوليائه أو بجاه أوليائه أو بحق النبي أو بجاه النبي فهذا ليس من الشرك ولكنه بدعة عند جمهور أهل العلم ومن وسائل الشرك لأن الدعاء عبادة وكيفيته من الأمور التوقيفية ولم يثبت عن نبينا صلى الله عليه وسلم ما يدل على شرعية أو إباحة التوسل بحق أو جاه أحد من خلقه فلا يجوز للمسلم أن يحدث توسلا لم يشرعه الله سبحانه وتعالى { أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله } وقول النبي صلى الله عليه وسلم من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد متفق على صحته وفي رواية لمسلم وعلقها البخاري في صحيحه جازما بها من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد ومعنى قوله فهو رد أي مردود على صاحبه لا يقبل فالواجب على أهل الإسلام التقيد بما شرعه الله والحدز مما أحدثه الناس من البدع أما التوسل المشروع فهو التوسل بأسماء الله وصفاته وتوحيده وبالأعمال الصالحات والإيمان بالله ورسوله ومحبة الله ورسوله ونحو ذلك من أعمال البر والخير والله ولي التوفيق . والله أعلم .